ترجمة القرآن الكريم

للشيخ محمد كرم شاه الأزهري

أ.د. إبراهيم محمد إبراهيم

يعد الشيخ محمد كرم شاه الأزهري واحداً من كبار علماء المسلمين في القرن العشرين، وله بصمات واضحة في مجال العلوم الدينية ، وخاصة مجال ترجمة وتفسير القرآن الكريم ، بالإضافة إلى كونه من المجددين في مجال التعليم الديني في المدارس الدينية على مستوى باكستان كلها.

ولد الشيخ محمد كرم شاه في الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٣٦هـ الموافق الأول من يوليو لعام ١٩١٨م بقرية بهيره بإقليم بنجاب(١) ، فسماه أبوه " محمد كرم شاه " (٢) ، وكنى بأبي الحسنات ، ولقب بضياء الأمة ، وأجداده من الذين أسلموا منذ بزوغ فجر الإسلام في شبه الجزيرة العربية ، ومنهم من شرف بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم وهو هبار بن الأسود الذي أسلم سنة ثمان للهجرة (٣) . وأول من هاجر إلى السند من أجداده هو الشيخ كمال الدين علي من ولد هبار بن الأسود بن أسد بن عبد العزى بن قصي(٤) . وقد خرج الشيخ كمال الدين علي هذا من مكة إلى خوارزم ، ومنها إلى الملتان في أوائل القرن الرابع الهجري(٥).

ووالده هو الشيخ محمد شاه الذي ولد بقرية بهيره سنة ١٨٩٠م ، وبدأ تعليمه بحفظ القرآن الكريم ، ونبغ في العلوم الدينية ، وأخذ الطريقة الجشتية عن الشيخ محمد ضياء الدين الجشتي ، ثم أنشأ مدرسة أهلية بقرية بهيره سنة ١٩٢٥م (٦) باسم دار العلوم المحمدية

الغوثية ، ، وكان أول من التحق بهذه المدرسة هو ابنه محمد كرم شاه(٧) ، وتوفي الشيخ محمد شاه عام١٩٥٧م(٨).

بدأ الشيخ محمد كرم شاه تعليمه بالقرآن الكريم في طفولته ، ثم التحق بالمدرسة الثانوية الحكومية ، وحصل على الثانوية عام ١٩٣٦م ، ودرس العلوم الإسلامية والعربية من التفسير والحديث والفقه بالإضافة إلى الصرف والنحو والمنطق والفلسفة والبلاغة والأدب وغير ذلك من العلوم العربية والفارسية ، ثم التحق بقسم اللغة العربية بالكلية الشرقية بجامعة البنجاب عام ١٩٤١م ، وحصل على الليسانس عام ١٩٤٢م .

وبعد ذلك تخصص الشيخ محمد كرم شاه في علم الحديث(٩) على يد المحدث الكبير محمد نعيم الدين مراد آبادي عام ١٩٤٣م(١٠) ثم التحق بجامعة البنجاب ثانية للحصول على ليسانس اللغة الإنجليزية سنة ١٩٤٥م .

وفي عام ١٩٥١م سافر الشيخ إلى مصر بغرض الدراسة ، والتحق بقسم القضاء بكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر الشريف(١١) ، وفي نفس الوقت توجه إلى جامعة القاهرة ، وتلقى أصول الفقه من الإمام أبي زهرة ، والأدب العربي من الأستاذ الدكتور أحمد زكي . وهكذا أقام الشيخ محمد كرم شاه في مصر من سنة ١٩٥١م إلى سنة ١٩٥٤م ، ورجع إلى بلاده بعدما تخصص في القضاء بالأزهر الشريف والأدب العربي بجامعة القاهرة ، وأصبح مهيئاً للقيام بدور علمي كبير في باكستان ظل يؤدية إلى أن توفاه الله تعالى عام ١٩٩٨م .

حياته العملية

عين الشيخ محمد كرم شاه عميداً لجامعة دار العلوم المحمدية الغوثية الأهلية التي أسسها والده عام ١٩٢٥م ، وكان أول شيء فكر

فيه هو تطوير المناهج وإعداد المقررات الدراسية من جديد مستعيناً بثقافته الواسعة ، قاصداً تربية أبناء المسلمين وتوجيههم إلى التطور والتحضر ، وإخراجهم من الانغلاق إلى الانفتاح ، وولهذا قام بإجراء تعديلات وتغييرات جوهرية في نظام التعليم الذي كان سائدا منذ قرون في شبه القارة الهندية لتخريج الطلبة المسلمين بما يؤهل عقولهم لتسخير الكون وما فيه ، وقدم نظاماً جديداً يجمع بين التعليم القديم والحديث ، وتبنى فكراً يقود الناس للإسهام في التقدم وتشكيل الحضارة الإسلامية ، وهكذا أصبحت دار العلوم المحمدية تدرس طلابها التفسير والحديث والفقه والأدب العربي جنباً إلى جنب مع اللغة الإنجليزية وعلم الاقتصاد والسياسة وغير ذلك .

الوظائف التي شغلها

عمل الشيخ محمد كرم شاه بالقضاء في المحكمة العليا بباكستان من سنة ١٩٨١م إلى سنة ١٩٩٨م ، وخلال عمله هذا لم يكن يخشى في إظهار الحق وإقامة العدل لومة لائم . يقول سكرتيره بالمحكمة العليا بباكستان (١٢) : " ولا ننسى أنّه نفّذ قوانين الرجم والدية والشفعة والقصاص في ضوء الكتاب والسنة ، وأجاز التصوير حسب الضرورات ، إلى غير ذلك من المساهمات القضائية التي لا تزال منارة نور للقضاة والمحامين ترشدهم إلى الحل السليم للمشاكل العصرية لإشباع الحاجات الإنسانية " .

كما عيّنته الحكومة الباكستانية مندوباً دائماً لمؤتمر جنيف لتوضيح موقف باكستان تجاه الأزمات المحلية والدولية عام ١٩٨٨م . وعمل الشيخ كذلك عضواً باللجنة المركزية لاستطلاع الهلال من سنة١٩٧١م إلى سنة ١٩٧٦م ، ثم اختير رئيساً لهذه اللجنة من سنة ١٩٨١م إلى سنة ١٩٨٦م ، وفاز بعضوية مجلس الأمناء لجامعة

القائد الأعظم محمد على جناح بإسلام آباد من سنة ١٩٨٦م إلى سنة ١٩٩٢م ، كما كان عضواً بجمعية الدكتور مصلح الدين الإسلامية بجدة ، المملكة العربية السعودية وإسلام آباد ، باكستان عام ١٩٩٥م ، والتي لا زالت تعمل لرفاهية الناس وتحسين أوضاعهم ، وكان عضوا كذلك بجمعية علماء باكستان المركزية ونائباً لرئيسها عام ١٩٥٦م.

كما كان الشيخ عضواً لمجلس الأمناء للجامعة الإسلامية بهاولبور باكستان من سنة ١٩٦٤م إلى سنة ١٩٦٨م ، وعضواً للجنة الحكومية لمجلس باكستان الهجري القومي عام ١٩٨٦م ، وعضوا لمجلس المعهد العالي القومي بمدينة ميربور بكشمير الحرة ، وعضوا دائماً لجامعة الدعوة الإسلامية العالمية بباكستان ، ورئيساً لحزب جند الله الذي أسسه والده قبل استقلال باكستان عام ١٩٥٧م ، وعضواً بدار المال الإسلامي بجنيف من سنة ١٩٨١م إلى سنة ١٩٩٤م ، وعضواً بمجلس العلماء القومي بباكستان عام ١٩٨٠م ، ورئيساً لتحرير مجلة ضياء الحرم الأردية من سنة ١٩٦٩م إلى سنة١٩٨٦م.

زواجه وأولاده

تزوج الشيخ محمد كرم شاه بابنة عمه السيدة حفصة سنة ١٩٤٨م فرزق ستة أبناء وأربع بنات . أما الأبناء فهم :

(١) – الشيخ محمد أمين الحسنات شاه .

(٢) – الحاج محمد حفيظ البركات شاه .

(٣) – لواء متقاعد محمد إبراهيم شاه .

(٤) – محمد محسن شاه .

(٥) – أبو الحسن محمد شاه .

(٦) – فاروق بهاء الحق شاه .

مؤلفاته

ألف الشيخ محمد كرم شاه كتباً عديدة في مجالات متعددة نذكر منها :

١ – " سنة خير الأنام " ، وهو مجلد واحد ، طبع تحت رعاية مؤسسة ضياء القرآن للنشر والتوزيع سنة ١٩٧١م .

٢ – " ضياء القرآن " في تفسير القرآن الكريم ، ويقع في خمسة مجلدات ، وقد ظهر هذا المؤلف باللغة الأردية خلال السبعينات ، وطبع تحت رعاية مؤسسة ضياء القرآن للنشر والتوزيع سنة ١٩٧٤م لاهور – باكستان .

٣ – شرح قصيدة أطيب النغم للشاه ولي الله الدهلوي . ط . مؤسسة ضياء القرآن للنشر والتوزيع سنة ١٩٨٥م .

٤ – رؤية الهلال ، مجلد واحد ، ط . مؤسسة ضياء القرآن للنشر والتوزيع سنة ١٩٨٥م .

٥ – التعليقات على كتاب تحذير الناس للعلامة محمد قاسم نانوتوي ، مجلد واحد ، ط . مؤسسة ضياء القرآن للنشر والتوزيع سنة ١٩٨٦م .

٦ – سحاب الكرم ، مجلد واحد ، ط . مؤسسة ضياء القرآن للنشر والتوزيع سنة ١٩٨٨م .

٧ – فتنة إنكار ختم النبوة ، مجلد واحد ، ط . مؤسسة ضياء القرآن للنشر والتوزيع سنة ١٩٩٠م .

٨ – " ضياء النبي " في السيرة النبوية سبعة مجلدات . ط . مؤسسة ضياء القرآن للنشر والتوزيع سنة ١٩٩٢م .

٩ – مقالات في الموضوعات الأدبية والفكرية ، مجلدان . ط . مؤسسة ضياء القرآن للنشر والتوزيع سنة ١٩٩٨م .

١٠ – شرح ديوان " ماذا نصنع الآن يا أمم الشرق " للعلامة محمد إقبال الشاعر الباكستاني ، مجلد واحد تحت الطبع .

منهجه في التصوف

يعد الشيخ محمد كرم شاه واحدا من مشايخ الطريقة الجشتية التي أسسها ملك العاشقين الشيخ معين الدين الجشتي الأجميري في الهند . وقد تميزت هذه الطريقة بالتركيز على الحب الإلهي ومحبة المصطفى صلى الله عليه وسلم بالإضافة إلى رعاية حقوق الله تعالى والاهتمام بحقوق العباد . هذا وقد أخذ الشيخ محمد كرم شاه الطريقة الجشتية في صباه من الشيخ محمد ضياء الدين الجشتي ، وبعدما انتقل الشيخ محمد ضياء الدين إلى جوار ربه عام ١٩٥٠م جدد الشيخ محمد كرم شاه البيعة على يد الشيخ محمد قمر الدين الجشتي . وظل الشيخ محمد كرم شاه ينشر ضياء الحب الإلهى ونور الخلافة الإلهية فى قلوب الآخرين من خلال أعماله الفريدة ، وقيامه بمهمة إعداد المثقفين ، وتربية النفوس ، والدعوة إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم دعوة تميزت بالوسطية والاعتدال طوال حياته .

تكريم العالم له

لاقت جهود الشيخ رحمه الله ومؤلفاته التقدير والاحترام من الدوائر الرسمية والشعبية على السواء داخل باكستان وخارجها ، فمنحته الحكومة الباكستانية وسام الامتياز ، وقلّده إيّاه الرئيس الباكستاني الأسبق الجنرال ضياء الحق رحمه الله تعالى ، كما قدّم له الرئيس المصري محمد حسني مبارك نوط الامتياز من الطبقة الأولى سنة ١٩٩٢م (١٣) ، وذلك في احتفال مصر بليلة القدر المباركة ، وقلّده الرئيس الكشميري الأسبق سردار(١٤) عبد القيوم خان وسام الامتياز على كتابه " ضياء النبي "، الذي اعتبر أفضل كتاب في

السيرة النبوية لعام ١٩٩٣ – ١٩٩٤م . كما قلدته رئيسة الوزراء الراحلة بينظير بوتو وسام الامتياز على كتابه في السيرة النبوية أيضاً(١٥) . وبعد مرور عامين على وفاته انعقد المؤتمر العام بمناسبة ذكرى ضياء الأمة الشيخ محمد كرم شاه في إنجلترا بجامعة الكرم(١٦) عام ٢٠٠٠م في أوائل يوليو ، وشارك في هذا المؤتمر الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف والأستاذ الدكتور طه مصطفى أبو كريشة نائب رئيس جامعة الأزهر الشريف ، كما منحته جامعة الأزهر " الدرع الفخري " عام ٢٠٠٠م تقديراً لإسهاماته القيّمة في النهوض بالأمة الإسلامية على المستوى الإقليمي والدولي ، وتسلم الدرع فضيلة الشيخ محمد أمين الحسنات شاه ابن الشيخ محمد كرم شاه وخليفته (١٧) .

ترجمة القرآن وتفسيره بغير اللغة العربية

(١) ترجمة القرآن :

الترجمة في اللغة العربية تعني نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى بدون بيان لمعنى الأصل المترجم وذلك كوضع مرادف مكان كلمة من لغة واحدة هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى الترجمة تفسير الكلام وبيان معناه بلغة أخرى ، ولذلك جاء في تاج العروس " والترجمان المفسر بلسان وقد ترجمه عنه إذا فسر كلامه بلسان آخر " . وقال الجوهري " وقيل نقله من لغة إلى لغة أخرى " (١٨) ، ويقصد بترجمة القرآن الكريم نقله من اللغة العربية إلى لغة أخرى ليتمكن من لا يجيد العربية أن يفهمه ، ولا شك أن عدم تبيان معاني القرآن الكريم لأهل كل لغة بلغتهم، ولو بترجمة بعضه، يعد من تقصير المسلمين في نشر دينهم . وترجمة القرآن الكريم إلى لغة غير اللغة العربية كالإنجليزية أو الفرنسية أو الأردية أو أي لغة أخرى

أمر غير ممكن بالمعنى الحرفي الذي يفهمه المتكلم باللغة العربيـــة ، لأن المتلقي والقارئ لهذه الترجمة لا يفهم اللغـــة المتـــرجم منهـــا ، فاقتضى هذا أن تنصب الترجمة على بيان معاني القرآن ومقاصـــده وأحكامه فقط دون حرفيته ، ولا خوف من التحريف عنـــد ترجمـــة معاني القرآن الكريم إلى لغة أخرى ، إذ أن اللغة العربية التي نـــزل بها القرآن ما زالت موجودة ، والقرآن الأصـــلي مـــا زال وســـيظل محفوظا : " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " . الحجر : الآيـــة ٩، كما أن بقاء أوائل المصاحف المكتوبة الى يومنا هذا يؤكـــد هـــذا المعنى ، ولهذا لم تنجح المحاولات الآثمة في حذف آية من هنـــا أو هناك ، أو حذف سورة وإبقاء سورة . وهناك شروط للترجمة عموماً وعلى إطلاقها نذكر منها :

١ – معرفة المترجم معرفة جيدة لأوضاع اللغتـــين ، لغـــة الأصل ولغة الترجمة.

ب– معرفة المترجم لأساليب اللغتين وخصائصهما .

ج– وفاء الترجمة بجميع معاني الأصل ومقاصده .

د– استقلال الترجمة عن الأصل .

وترجمة القرآن الكريم على قسمين رئيسين :

١ – الترجمة الحرفية : وهي نقل ألفاظ من لغة إلى نظائرها من اللغة الأخرى بحيث يكون النظم موافقا للنظم، والترتيب موافقـــا للترتيب. وفي تعريف آخر هي : نقل ألفاظ من لغة إلى ما يماثلها في لغة أخرى مع الاتفاق التام بين النظم و التركيب و الوضـــع . وفـــي تعريف ثالث : أن يترجم نظم القرآن بلغة أخرى تحاكيه حذوا بحـــذو بحيث تحل مفردات الترجمة محل مفرداته وأسلوبها محل أسلوبه حتى

تتحمل الترجمة ما تحمله نظم الأصل من المعاني المقيدة بكيفياتها البلاغية وأحكامها التشريعية (١٩) .

والمتخصصون في اللغات وعلومها يعرفون أن الترجمة الحرفية بالمعنى المذكور لا يمكن تحققها مع المحافظة على سياق الأصل والإحاطة بجميع معناه ، لاختلاف خواص كل لغة عن الأخرى . ولأن التعبير العربي يحمل في طياته من أسرار اللغة ما لا يمكن أن يحل محله تعبير آخر بلغة أخرى، لذا فإن الألفاظ في الترجمة لا تكون متساوية المعنى من كل وجه فضلا عن التراكيب.

والقرآن الكريم في قمة العربية فصاحة وبلاغة، وله من خواص التراكيب وأسرار الأساليب ولطائف المعاني، وسائر آيات إعجازه ما لا يستقل بأدائه لسان ، ولهذا لا يجد المرء مفراً من الاعتراف بخطورة ترجمة القرآن ترجمة حرفية . فالقرآن كلام الله المنزل على رسوله المعجز بألفاظه ومعانيه المتعبد بتلاوته، ولا يمكن أن نطلق على الكلمة المترجمة قرآناً ، ولن يتأتى الإعجاز بالترجمة، لأن الإعجاز خاص بما أنزل باللغة العربية ، والذي يتعبد بتلاوته هو ذلك القرآن العربي المبين بألفاظه وحروفه وترتيب كلماته . فترجمة القرآن الحرفية إذاً مهما كان المترجم على دراية باللغات وأساليبها وتراكيبها تخرج القرآن عن أن يكون قرآناً.

٢ - الترجمة التفسيرية أو المعنوية:

وهي بيان معنى الكلام بلغة أخرى من غير تقييد بترتيب كلمات الأصل أو مراعاة لنظمه . وفي تعريف آخر هي : الترجمة التي لا تراعى فيها المحاكاة المطلوبة في الترجمة الحرفية ، أي محاكاة الأصل في نظمه و ترتيبه ، بل المهم فيها حسن تصوير المعاني والأغراض كاملة ، لذلك يسميها البعض بالترجمة المعنوية .

إذ تعني بشرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى بدون محافظة على نظم الأصل وترتيبه وبدون المحافظة على جميع معانيه المـــرادة منـــه ، وذلك بأن نفهم المعنى الذي يراد من الأصل ثم نأتي به بتركيب مـــن اللغة المترجم إليها يؤديه على وفق الغرض الذي سيق له (٢٠) .

ومن هنا تكون الترجمة التفسيرية محاذية للمعنى التفسيري لا النصي ، وربما يقول البعض : إن الكتاب الحكيم نزل باللغة العربية فلا بد من فهمه ومعرفته بهذه اللغة ، ومن ناحية أخـــرى يمكـــن أن تضلل الترجمات المنحرفة عامة الناس من أهل اللغة المنقول إليهـــا ، ولكن ينبغي أن نعلم أن التشدد في حظر الترجمة والتفسير بـــالمعنى من شأنه أن يباعد بين العرب والعجم من ناحية ، ومن ناحية أخرى لا يتمكن غير العرب من فهم القرآن الكريم ، ولهذا تصبح ترجمـــة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى واجبة لفائدتها العميمة ، وإلى هـــذا أشار محمد عزت دروزة بقوله : "ومن ناحية الهداية والرشاد للنـــاس يجب ترجمة القرآن وتفسيره إلى اللغات الأخرى هذا مفيد جدا ويبدو واجبا لازمـــا فـــي ســـبيل نشـــر الـــدعوة الإســـلامية القرآنيـــة العظمى"(٢١).

وهناك بعض الشروط التي لابد من توفرهـــا حتـــى تعتبـــر الترجمة التفسيرية مقبولة ومنها :

١- أن تكون الترجمة على شاكلة التفسير لا يعتمد عليها إلا إذا كانت مستمدة من الأحاديث النبوية الشريفة وعلوم اللغة العربية وباقي الأصول المعتمدة في الشريعة الإسلامية .

٢- أن يكون المترجم على عقيدة أهل السنة.

٣- أن يكون المترجم عالما باللغتين خبيراً بأسرارهما بشكل عميق.

٤- أن يكتب القرآن أولا ، ثم يأتي بتفسيره ، ثم يتبع هذا بترجمته التفسيرية حتى لا يتوهم متوهم أن هذه الترجمة ترجمة حرفية للقرآن .

٥ - أن يكون أميناً في ترجمته .

فإذا توفرت هذه الشروط يرجى أن تخلو الترجمة التفسيرية من أي نقد أو عيب يمكن أن يمس جوهر القرآن الكريم و أحكامه و آدابه و تعاليمه الربانية السامية .

ومن هنا رأى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن تشكل لجنة من خيرة علماء الأزهر يناط بها فهم معاني القرآن الكريم فهما صحيحاً بعد الرجوع لآراء أئمة المفسرين ، وصوغ هذه المعاني بعبارات دقيقة محددة ، ثم نقل المعاني التي فهمها العلماء إلى اللغات بواسطة رجال موثوق بأمانتهم واقتدارهم في تلك اللغات ، بحيث يكون ما يفهم في تلك اللغات من المعاني هو ما تؤديه العبارات العربية التي يضعها العلماء ، بشرط أن يوضع تعريف شامل يتضمن أن :

١ - الترجمة ليست قرآناً .

٢ - ليس لها خصائص القرآن .

٣ - ليست هي ترجمة كل المعاني التي فهمها العلماء .

٤ - أن يطبع التفسير المذكور بجوار الترجمة المذكورة.

وإذا كانت ترجمة كلام الله المعجز - القرآن - أمراً لا يدرك ولا يرام ، فإن ترجمة تفسير القرآن ، أو ما يفهمه المفسر من معانيه ضرورة واجبة ، لأن المسلمين إذا أهملوا ذلك أصبحوا في كثير من بقاع الأرض " قوماً لا سند لهم ولا مرجع ، يجدون بين أيديهم مصحفاً يتبركون بورقه ويلثمون غلافه، ويضعونه على الرأس

والعين احتراماً له، ولكنهم لا يفهمون ما فيه، والكتاب الذي غير مجرى التاريخ، وعرّف العالم مبادئ الخير والصلاح ، ستصبح معانيه مغلقة على كثير من الأمم ، وهذا إسراف في الجور، ولا يتفق وسماحة الدين الاسلامي الذي جاء به محمد رسول رب المشرقين والمغربين صلى الله عليه وسلم إلى كافة الناس " .

ومن جهة أخرى فإن التوقف عن ترجمة تفسير لمعاني القرآن سوف يتيح الفرصة لانتشار ترجمات فاسدة كتبها حانقون على الاسلام ، وربما دل سكوتنا عن تقديم مثل هذه الترجمة على اقتناعنا بصحة هذه الترجمات في نظر الكثيرين . وبالتالي فقد أحسن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية صنعاً حين اتجه إلى كتابة تفسير باللغة العربية، ينقل بعد ذلك إلى اللغات الأوربية وإلى لغات المسلمين على اختلافها، بعد أن رأى أن تبليغ هذا القرآن للناس أمر لا مناص منه، وأن الترجمة منال لا يدرك ولا يرام ، ولكن : " لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا ولا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا ولا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (البقرة:٢٨٦) .

(٢) تفسير القرآن:

التفسير معناه لغة الإيضاح والتبيين(٢٢) ومنه قوله تعالى: " وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا "(٢٣) ، وقد يكون هذا الإيضاح والتبيين حسيا وقد يكون معنويا كما أشار إليه الشيخ أبوحيان الأندلسي نقلا عن الإمام ثعلب في قوله " فسرت الفرس أي عريته لينطلق في حُضْرِه وهو راجع لمعنى الكشف فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريد منه الجري " (٢٤) .

والتفسيرعلم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية ومن حيث كونه المعجزة العظمى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم (٢٥) .

الفرق بين التفسير والتأويل

التفسير عبارة عن المعاني الظاهرة من القرآن الكريم الواضحة الدلالة على المعنى المراد لله عز وجل ، والتأويل هو المعاني الخفية التي تستنبط من الآيات الكريمة والتي تحتاج إلى تأمل وتفكر واستنباط ، وتحتمل عدة معان فيرجح المفسر منها ما كان أقوى عن طريق النظر والاستدلال ، وليس هذا الترجيح بقطعي بل هو ترجح للأظهر والأقوى ، إذالحكم بأنه المراد القطعي تحكم في كتاب الله وهو يقول عزوجل : " وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ "(٢٦).

أقسام التفسير

ينقسم التفسير إلى قسمين وفق النقل والاجتهاد ، وهما التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي . التفسير بالمأثور: يشمل ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته ، وما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وما نقل عن التابعين (٢٧) من كل ماهو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم (٢٨). التفسير بالرأي : يطلق الرأي على الاعتقاد والاجتهاد وعلى القياس ومنه أصحاب الرأي أي أصحاب القياس ، وعلى هذا الأساس فالتفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول ، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها ، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ، ووقوفه على أسباب النزول ، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر(٢٩).

ترجمة معاني القرآن الكريم
إلى اللغة الأردية

دخل الإسلام شبه القارة الهندية منذ القرن الأول الهجري عن طريق التجار ، وانتشر مع فتح المسلمين العرب للبلاد عام ٩٨هـ / ٧١٢م بقيادة " محمد بن القاسم الثقفي " في عهد الخليفة الأموي " الوليد بن عبد الملك " ، وكان ذلك في منطقة " السند " ، ثم اتسعت الفتوحات الإسلامية في شبه القارة الهندية على يد " الغزنويين " بقيادة " محمود الغزنوي " في القرنين الرابع والخامس الهجريين، وجاء من بعدهم " الغوريون " و " المماليك " و " الخلجيون " و " آل تغلق " و " اللودهيون " ثم " المغول " الذين دخلوا الهند فاتحين عام ١٥٢٦م بقيادة " ظهير الدين بابر " ، واستمر حكم هذه الدولة ما يزيد على ثلاثة قرون ، حتى سقطت على أيدي الإنجليز عام ١٨٥٧م ، وكانت دولة قوية ذات شأن عظيم ، كما كانت إحدى أكبر قوتين في العالم آنذاك ، حيث كانت " الدولة العثمانية " و " الدولة المغولية " أكبر قوتين إسلاميتين يحكمان جزءاً كبيراً من العالم في آن واحد .

هذا وكانت اللغة الفارسية هي اللغة الرسمية للدولة المغولية، بل ومن قبلها منذ " الغزنويين " ، وقد شارك مسلمو الهند من علماء وأدباء وشعراء في إثراء التراث الإسلامي والأدبي بهذه اللغة . ورغم أن اللغة الأردية أيام المغول كانت لغة متطورة ، ويستخدمها قطاع عريض من أهل الهند إلا أنها لم تكن اللغة الرسمية للبلاد ، ولهذا كانت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم ظهرت في الهند باللغة الفارسية ، وهي الترجمة التي قام بها العالم الكبير " شاه ولي الله الدهلوي : ١٧٠٣م – ١٧٦٣م " عام ١٧٣٨م ، وأسماها " فتح الرحمن في ترجمة معاني القرآن " . والسبب الرئيسي في تأخر

ظهور ترجمة لمعاني القرآن الكريم حتى النصف الأول من القرن الثامن عشر هو أن العلماء إذ ذاك كانوا يعرفون اللغة العربية معرفة جيدة ، فكانوا يقرأون القرآن وكتب الحديث والفقه والتفسير وغيرها باللغة العربية مباشرة ، ولم يشعروا قبلها بحاجة إلى ترجمة معاني القرآن الكريم باعتبار أنهم هم الذين يشرحون معانيه لعامة المسلمين هناك ، والسبب الآخر هو أنه ربما كان العلماء يرون في تلك الفترة حرجاً في ترجمة معاني القرآن ، ويعتقدون أنها غير جائزة ، ولهذا لقيت الترجمة الأولى لمعاني القرآن التي قام بها " شاه ولي الله الدهلوي " إلى اللغة الفارسية مخالفة شديدة من علماء العصر ، لدرجة أنهم أرادوا التخلص من " شاه ولي الله " مما اضطره إلى الرحيل عن مدينة " دهلي " التي كان يقيم بها .

ويرى بعض الباحثين أن أول من ترجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية في شمالي الهند هو القاضي محمد معظم سنبهلي، وقد أكملها سنة ١١٣١هـ وسماها "تفسير هندي" ، ثم فسر شاه مراد الله الأنصاري سنبهلي الجزء الثلاثين من القرآن سنة١١٨٥هـ وهو ما يعرف بـ " تفسير مراديه " ، وطبع عدة مرات.

أما أول ترجمة أردية لمعاني القرآن الكريم فقد قام بها " شاه رفيع الدين دهلوي : ١٧٥٠م – ١٨٧١م " بن " شاه ولي الله دهلوي " سابق الذكر عام ١٧٧٦م ، وكانت ترجمة لفظية ، بمعنى ترجمة كل لفظ عربي إلى لفظ أردي يكتبه أسفله ، دون مراعاة لأسلوب اللغة الأردية وطبيعة بناء الجملة بها ، ورغم أن هذه الترجمة كانت ترجمة لفظية كما ذكرنا إلاّ أن لها منزلتها بين الترجمات الأردية ، وقد أكملت هذه الترجمة عام ١١٩٠هـ قبل ترجمة أخيه شاه عبد القادر، ولكنها نشرت بعدها في كلكتا سنة ١٢٥٦هـ.

ثم قام " شاه عبد القادر الدهلوي : ١٧٥٢م – ١٨١٤م " بن " شاه ولي الله الدهلوي " بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية عام ١٧٩٠م ، وأسماها " موضح القرآن " ، وهي ترجمة لمعاني القرآن بلغة فصيحة ، ولذا فإنها تعتبر أول ترجمة نموذجية لمعاني القرآن الكريم باللغة الأردية . والحقيقة أن ترجمة شاه عبد القادر هي أول ترجمة كاملة ظهرت ، وتلقاها الناس بالقبول، ولم ينقطع الإقبال عليها حتى الآن ، وذلك لمكانتها المرموقة بين الترجمات الأردية، ولكونها مرجعا للعلماء والمترجمين إلى وقتنا هذا . وقد أكملت هذه الترجمة سنة ١٢٠٥هـ ونشرت في دهلي سنة ١٢٤٥هـ بعد وفاة المؤلف بسنتين . وميزتها أنها جمعت بين خصلتين يصعب اجتماعهما في الترجمة . وذلك أن تكون الترجمة أدبية بليغة، مع كونها قريبة شديدة القرب من النص المترجم . ومما يشهد ببراعة المترجم أنه قد مضى على ترجمته أكثر من قرنين من الزمان ، وتطورت اللغة الأردية في هذه الحقبة الطويلة تطورا كبيرا، وهجرت ألفاظ وأساليب وتعبيرات ونسيت وتغيرت، ولكن ترجمة الشاه عبد القادر لم تفقد روعتها ووهجها .

وهكذا كان لهذه الأسرة الكريمة جهد مشكور في نشر علوم القرآن الكريم منذ أن ترجم شاه ولي الله معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية التي كانت لغة العلم والأدب في شبه القارة الهندية في ذلك الوقت ، وكانت تلك خطوة جريئة تعرض من جرائها للطعن والمضايقة من قبل بعض الحكام والعلماء من معاصريه كما سبق أن ذكرنا ، ولكن هذه الترجمة فتحت بابا واسعا من أبواب الخير لعامة المسلمين ، وكانت خطوة موفقة لها ما بعدها، فقد بدأت حركة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأردية منذ ذلك الحين ونشطت وتتابعت من بعدها.

ثم جاء القرن التاسع عشر الميلادي ، والذي يعد هو وسابقه فترة تدهور للدولة المغولية وتراجع للغة الفارسية وانسحاب من الميدان ، فثبتت اللغة الأردية أقدامها بدلاً منها ، ولهذا ظهرت في القرن التاسع عشر هذا ترجمات عديدة لمعاني القرآن الكريم بدأت بترجمة قام بها مجموعة من العلماء في شكل لجنة من خمسة أعضاء تحت إشراف السيد " جون جل كرست " الذي كان يعمل رئيساً لقسم اللغة الأردية بكلية " فورت وليم " التي أنشأها الإنجليز عام ١٨٠٠م . وأكملت اللجنة ترجمتها هذه عام ١٨٠٤م .

ثم توالت الترجمات الأردية لمعاني القرآن الكريم ، ولم تكن تختلف عن سابقتها ، بل كانت في معظمها تعتمد على الترجمات التي قامت بها عائلة"ولي الله" مع تغيير أو تعديل بسيط في بعض الألفاظ ، ولذا لم تلفت الأنظار إليها ، ولم تنل شهرة كبيرة إلى أن ظهرت الترجمة التي قام بها " السيد أحمد خان : ١٨١٧م – ١٨٩٨م " عام ١٨٨٠م ، وكانت لخمسة عشر جزءاً فقط " النصف الثاني من القرآن الكريم " ، وجاءت في سبع مجلدات ، وطبعت عام ١٨٩٥م ، وقد أثارت هذه الترجمة ضجة كبرى في الأوساط الدينية والعلمية ، فقد خالف فيها " السيد أحمد خان " بعض ما هو متفق عليه في الدين، مما أثار العلماء ضده حتى كفره بعضهم . ومن الأمور التي خالف فيها " السيد أحمد خان " جمهور العلماء إنكاره للمعجزات ولوجود الملائكة والشياطين والجنة والنار والصراط المستقيم وغيرها ، وتأويله لها تأويلاً يخرج بها عن المعلوم من الدين بالضرورة .

ومن الترجمات التي ظهرت للقرآن الكريم باللغة الأردية في القرن التاسع عشر الترجمة التي قام بها " مولوي نذير أحمد الدهلوي : ١٨٣٠م – ١٩١٤م " عام ١٨٩٥م ، واشتهرت باسم " غرائب

القرآن " ، وقد اعترض الكثيرون على هذه الترجمة أيضاً نظراً لركاكة أسلوبها في بعض المواضع ، وبعض التسامحات والهفوات في مواضع أخرى . ومع ذلك فقد لقيت قبولاً لدى الكثيرين ، وفتحت الباب لظهور ترجمات جديدة .

أما القرن العشرين فقد ظهرت فيه العديد من ترجمات القرآن الكريم كان على رأسها الترجمة التي قام بها " مولوي فتح محمد جالندهري " باسم " فتح المجيد " ، ونشرت عام ١٩٠٠م ، وقد طبعت هذه الترجمة مرة أخرى بدون المتن القرآني باسم " نور الهداية " عام ١٩٦٩م .

ثم تأتي الترجمة التي قام بها "عاشق إلهي ميرتهي : ١٨٨١م – ١٩٤١م " عام ١٩٠١م ، وهو أصغر من قام بترجمة القرآن الكريم إلى الأردية ، حيث كان في العشرين من عمره حين أتمها .

ثم ظهرت ترجمة لمعاني القرآن الكريم عام ١٩٠٧م في ثلاث مجلدات قام بها مؤسس فرقة " أهل القرآن " في الهند ، وهو " عبد الله تشكرالوي " ، وهي ترجمة بها تأويلات تخرجها في بعض الأحيان عن المعنى المقصود . وعلى نفس المنوال ظهرت ترجمة أخرى باسم " معارف القرآن " لـ " غلام أحمد برويز " ، وقد أكملها عام ١٩٤٩م . ولم يعتمد " غلام أحمد برويز " هذا في ترجمته على الحديث الشريف نظراً لأنه كان ينكره مثل " عبد الله تشكرالوي " سابق الذكر ، ولهذا اعتمد على تفسير وترجمة الآيات بالآيات ، مما جعلها هي الأخرى تضم في ثناياها تأويلات غير صحيحة لدى جمهور علماء المسلمين .

ومع ذلك فقد ظهرت ترجمات أخرى لمعاني القرآن الكريم في القرن العشرين ، منها الترجمة التي قام بها شيخ الهند " محمود

الحسن الديوبندي : ١٨٥٢م – ١٩٢٠م " عام ١٩١٨م ، والترجمة التي قام بها الشيخ " أحمد رضا خان البريلوي:١٨٥٤م – ١٩٢٣م " عام ١٩١٠م باسم " كنز الإيمان في ترجمة القرآن " .

ومن أهم ترجمات القرآن الكريم في القرن العشرين تلك التي قام بها الشيخ " أبو الكلام آزاد : ١٨٨٨م – ١٩٥٨م " عام ١٩٣٥م باسم " ترجمان القرآن" ، وفيها قدم الشيخ " أبو الكلام آزاد " فهرساً لكل سورة فيه جميع ما تشتمل عليه السورة من مطالب ، وكانت هذه الطريقة جديدة لم يسبقه إليها أحد قبله ، لكن اتبعه فيها بعد ذلك الشيخ " أبو الأعلى المودودي : ١٩٠٣م – ١٩٧٩م " ، والذي قام بترجمة القرآن إلى اللغة الأردية عام ١٩٤٩م في ست مجلدات وسماها " تفهيم القرآن " ، وكذلك فعل الشيخ " محمد كرم شاه الأزهري : متوفى ١٩٩٨م " حين ترجم معاني القرآن ترجمة تفسيرية مثل الشيخ " أبي الكلام آزاد " ، وأسماها " ضياء القرآن-" ، وجاءت في خمس مجلدات وذلك في أواخر القرن العشرين . هذا ولا تزال الترجمات تتوالى ، ولن تتوقف ، لأن الحاجة إلى فهم القرآن الكريم لن تنتهي .

ومن الجدير بالذكر أن أكثر أصحاب الترجمات الأردية التي أشرت إليها آنفا كانوا من العلماء المشهورين، وكانت لهم قدم راسخة في العلوم الدينية المتداولة من التفسير والحديث والفقه، بالإضافة إلى إتقانهم اللغة العربية ، ولهذا اعتمدوا عند قيامهم بالترجمة على كتب التفسير والترجمات التي قام بها من سبقهم .

وهنا يجدر بنا أن نؤكد أولاً على أن :

١ – الحاجة إلىَ فهم معاني القرآن الكريم ظهرت منذ نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان صلى الله

عليه وسلم هو المفسر الأعظم لهذا القرآن ، فكان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يسألونه فيما يعنّ لهم من أسئلة واستفسارات ، وهكذا فعل التابعون ومن جاءوا بعدهم على مرّ القرون، فالقرآن إذاً يحتاج إلى شرح وتفسير لكي يتمكن قارئه من فهمه ، حتى وإن كان هذا القارئ عربياً ، لأن القرآن الكريم وإن كان نصاً عربياً نزل بلغة العرب إلاّ أنه ليس من نظم العرب ولا من كلامهم ، وإنما هو كلام الله باللغة العربية ، وبالتالي لا يستطيع العربي نفسه فهم هذا النص على أكمل وجه دون الرجوع إلى من يشرحه ويفسره له ، وترجمة هذا الكلام عملياً نراها في هذه الثروة الهائلة القيمة من تفاسير القرآن الكريم التي كتبها العلماء باللغة العربية على مرّ تاريخ الإسلام ، وهنا يستوى العرب وغير العرب في أن كليهما في حاجة ماسة إلى شرح وتفسير القرآن الكريم ، وهذا هو الأساس الذي بنيت عليه فكرة ترجمة القرآن ، غير أن العربي يستطيع فهم القرآن الكريم فهماً عاماً دون التمكن من الوصول إلى أعماق المعاني ، وهو ما لا يستطيعه المسلم غير العربي، رغم أن القرآن الكريم يؤثر في المسلم حين يقرأه، ويجعله يستشعر عظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته ورحمته ، حتى وإن لم يفهم لغته أو معناه ، باعتبار أنه كلام الله المعجز ، لكن هذا القدر من الفهم المتيسر للعربي لن يتأتي لغير العربي إلا بتعلم اللغة العربية ، ومن هنا يصبح تعلم اللغة العربية من الأمور الهامة والحيوية بالنسبة للمسلم غير العربي ، ويجب ألاّ يتهاون فيه .

ومن جانب آخر لابد أن نتفق على أن ترجمة القرآن الكريم تعتبر علماً من علوم القرآن ، وأن الحاجة ماسة دائماً إلى مواصلتها ، سواء كانت ترجمة تحت اللفظ أو ترجمة بالمعنى أو ترجمة تفسيرية ، إذ أنها كلها تصب في النهاية في مصلحة الفهم الصحيح ، رغم أننا

نؤكد أنه لا توجد ترجمات حرفية للقرآن الكريم ، حتى تلك التي يظن الباحثون أنها ترجمة حرفية هي ليست كذلك في الحقيقة ، لأن الترجمة ما هي إلاّ محاولة من المترجم لفهم القرآن وتوصيل هذا الفهم إلى المتلقي ، ونحن نؤمن أن القرآن الكريم هو النبع المتجدد للإنسان عامة ، وللمسلمين خاصة ، ومعاني القرآن الكريم وإعجازه لا ينكشف كلية في وقت واحد ، إلا لمن رحم ربي، وسيظل المسلمون يكتشفون من معانيه مع مرور الزمن ما لم يكتشفه السابقون ، وهذا من أصل إعجاز القرآن الكريم ، ومن جانب آخر فإن القرآن الكريم ليس معجزاً بمعانيه فقط ، وإنما بألفاظه وكلماته وتراكيبه وأسلوبه وحروفه أيضاً ، وكل جيل يهتدي بتوفيق الله تعالى إلى فهم أوسع لمعاني وألفاظ القرآن ، ومع زيادة الوعي الديني ، وتطور الحياة وزيادة متغيراتها يعكف الجيل الجديد على مزيد من الدراسة لاستخراج القواعد والأصول التي تحكم ما يستجد من أمور الحياة ، وهكذا تتسع المعرفة وتتعمق ، وبديهي أن تختلف ترجمة عن أخرى طبقاً لاختلاف الفهم والإدراك ، وبناءاً على ما يعنّ من أمور تظهر في الحياة لم تكن ظاهرة من قبل ، هذا بالإضافة إلى مدى الجهد المبذول من قبل المترجم للوصول إلى عمق معاني وألفاظ القرآن الكريم ، وبالتالي فإننا لا نستغرب ما نجده من اختلاف في الترجمات المتعددة ، بل ونتوقع أن تختلف الترجمات القادمة عما هو موجود لدينا الآن ، وكل هذا يخدم عقيدة إعجاز القرآن التي نؤمن بها . فالقرآن ثابت ، ومعانيه متجددة ، وترجمات القرآن أيضاً لا ينبغي أن تكون ثابتة ، إذ أن هذه الترجمات – كما أشرنا آنفاً – ما هي إلا محاولات لفهم القرآن والوصول إلى عمق معانيه .

ونحن نعتقد أن ترجمة للقرآن الكريم تحت اللفظ ضرورية وهامة بقدر أهمية وضرورة الترجمة المعنوية والتفسيرية ، فليس في مقدور كل إنسان أن يقتني ترجمة تفسيرية من خمس مجلدات أو أكثر ، وحتى إن اقتناها فليس من المتيسر حملها في كل وقت أينما نذهب ، ونحن نريد أن يلازمنا القرآن الكريم حيثما ذهبنا ، فنقرأه ونفهم منه ما نستطيع ، ولا يتأتي هذا لغير العرب إلا بالترجمة المستقلة في مجلد واحد ، وفي نفس الوقت نؤكد على أن هذه الترجمات ليست هي القرآن ، ولا تضم كل معاني القرآن ومطالبه ، وإنما تضم القدر الذي استطاع المترجم الوصول إليه من هذه المعاني وإدراكه ، والفرق بين الترجمات المختلفة هو نفسه الفرق بين هذا القدر بين مترجم وآخر .

*****

ترجمة وتفسير ضياء القرآن

قام الشيخ محمد كرم شاه بكتابة ترجمة وتفسير للقرآن الكريم باسم " ضياء القرآن " ، وقد أتم الشيخ محمد كرم شاه تفسيره هذا في تسعة عشرعاما ، بدأت من ٢٩ من فبراير ١٩٦٠م ، وانتهت في ٢٣ من أغسطس ١٩٧٩م . يقول الشيخ رحمه الله : " والله يشهد بأني ما فكرت ولو لدقيقة ، وما دار في خلدي أنني سوف أقوم بتفسير القرآن الكريم أو أنني أهل لهذه المهمة الجليلة ، أو أنني استطيع أن أبين غامضا بعقلي أو فهمي ، أو أن أعبر عن مشاعري وإحساسي تجاه التفسير إلا التوفيق بالله العلي العظيم الذي شاء أن يكون كتابته فصار وتحقق قضاء الله وقدره في الواقع"(٣٠). هذا وقد نالت الترجمة والتفسير قبولا كبيراً لدى الشعب الباكستاني عامة ، وفي أوساط العلماء خاصة .

هذا وقد استعان الشيخ محمد كرم شاه في ترجمته وتفسيره بأدوات التحقيق والتدقيق ، وزينه بحب الله ورسوله عليه الصلاة والسلام ، ولم يخرج عن الدائرة العلمية التي وضعها العلماء في هذا الميدان ، وهذا مما يحسب للشيخ في عمله هذا ، فقد حرص على الرجوع إلى آيات القرآن في ترجمة آية ما وتفسيرها ، والرجوع إلى أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم من مصادرها الصحيحة ، كما استعان بآراء العلماء وما جاء في القواميس والمعاجم ، ثم حرص في كثير من الأحيان على الإشارة إلى المراجع والمصادر التي استقى منها رأياً ما ، أو التي تؤيد ترجمة معينة للفظ معين ، مثلما جاء في ترجمته لمعنى " رب العالمين " في قوله تعالى " الحمد لله رب العالمين "

*****

وبمقارنة ترجمة وتفسير الشيخ محمد كرم شاه الأزهري ببعض الترجمات السائدة والمعروفة في المجتمع الباكستاني والناطقين بالأردية وجدنا أن أكثر ما تتميز به ترجمة الشيخ وتفسيره هذا الحب الدافق لله سبحانه وتعالى ونبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ، بحيث أصبح هذا الحب هو المحور الذي دارت حوله الترجمة ، وهو أيضاً ما يمكن أن نطلق عليه المسحة الصوفية في الترجمة ، وهو ما نلمسه في ترجمة معاني آيات مثل :

*****

ومن ألوان التفسير التي جاء بها الشيخ محمد كرم شاه : تفسير القرآن بالقرآن ، ومثال هذا ما ذكره الشيخ محمد كرم شاه في سياق ترجمته وتفسيره لقوله تعالى : " وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ " (٣١) فقال إن وراثة

الأرض التي وعدها الله عباده الصالحين هي أرض الجنة في يوم النشور ، وهو ما جاء في قوله تعالى : " وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ"(٣٢) وأما أرض الدنيا وسلطنتها وحكومتها فقد يتولاها الصالحون ، وقد تعطى للفاسقين أحيانا ، وهو ما تشير إليه الآية الكريمة : " إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبادِهِ "(٣٣) وقد علق الشيخ على من يرى أن أساس وراثة الحكومة الأرضية التقوى والإخلاص لله تعالى ، وأنه لا بد للملوك والسلاطين أن يكونوا من الصلحاء المخلصين والمتقين قائلاً : " إن هذا الافتراض يناقض الآيات القرآنية ، لأن التاريخ الإنساني خير شاهد على هذه البداهة في شأن الأمراء والحكام الذين كانوا من الجبابرة والفاسقين أحيانا ، فهل نعطيهم شهادة الصلاح والتقوى بسبب توليهم منصب الحكومة الأرضية لأيام معدودة ؟ لماذا يسب الناس "هتلر" ويشتمونه بعد إحلاله الهلاك في الأرض ؟ ولماذا قام البعض بإخراج عظام جثة ستالين من مقبرة الكريملين ورميها في قعر الذل والهوان ؟ هل تمكن كل منهما على عرش الإيمان والتقوى ؟ ومع ذلك فقد كانا وأمثالهما متمكنين على عرش السلطنة والحكم فيَ العالم الأرضي ، ولا نستطيع القول بأن كل من بيده أمور الدنيا وسياستها يكون بالضرورة من الصلحاء المؤمنين وزمرة المتقين(٣٤) .

ومن نماذج التفسير بالقرآن أيضاً ما جاء في ترجمة الشيخ وتفسيره لقوله تعالى في سورة طه : " وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى " (٣٥) ، فقد شرحها بآية من سورة الإسراء هي : " وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا " (٣٦) قائلاً بأن الله تعالى قد أبعد المعرضين عن راحة الآخرة.

حرص الشيخ – كما أشرنا آنفاً – على الاستعانة بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في ترجمته وتفسيره لمعاني القرآن الكريم ، ومثاله ما قاله الشيخ في تفسير قوله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا " (٣٧) ، فأحال إلى ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا أحب الله العبد قال لجبريل لقد أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى في أهل السماء إن الله قد أحب فلانا فأحبّوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض " (٣٨) .

كما حرص الشيخ أيضاً على الاستعانة بما ورد عن الصحابة والسلف الصالح من التابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، وهم الذين تميزوا بسليقتهم القوية السليمة من أدران الفهم السقيم ، وإدراكهم لعصر نزول القرآن ، ومثال ذلك ما جاء في ترجمة الشيخ وتفسيره لقوله تعالى : " أويأخذهم على تخوف " فإن ربكم لرؤوف الرحيم"(٣٩) فأشار إلى الرواية التى نقلها سعيد بن المسيب حين قال : سئل عمر بن الخطاب على المنبر عن معنى قوله تعالى " أو يأخذهم على تخوف " فليس له أدنى دراية بهذا المعنى ، فسأل عمر الناس فسكت الجميع ، فقام رجل من بنى هذيل فقال يا أمير المؤمنين التخوف عندنا التنقص ثم سأله هل لديكم حجة من دواوين شعراء الجاهلية فقال نعم وأنشد :

تخوّف الرّحْل تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السَّفنُ(٤٠)

وفي تفسيره لقوله تعالى : " وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ " (٤١) استعان الشيخ كرم شاه بما ورد عن التابعى الجليل الحسن البصرى رضى الله عنه من أنه " كان يستنبط من هذه الآية معنى عاما شاملا لكل من آمن وعمل

صالحا وقال إننى من المسلمين لكن إذا تليت هذه الآية غلب عليه الوجد والشوق ويقول هذا رسول الله ، هذا حبيب الله ، هذا ولى الله ، هذا صفوة الله . هذا خيرة الله ، هذا والله أحب أهل الأرض إلى الله"(٤٢).

كما نلحظ أثر التفسير بالرأي في ثنايا ترجمة الشيخ وتفسيره سواء:

١ – بنقل آراء المفسرين الآخرين من المتقدمين والمتأخرين مما نراه في تفسيره لقوله تعالى : " إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ "(٤٣). حيث نقل تفسير هذه الآية من التفسير الصوفى للعلامة ثناء الله بانى بتى متوائما معه في تفسيره بالرأى المستحسن ، " بأن المراد من الأمانة نور العقل ونار العشق ، فنور العقل يهدى إلى معرفة الله تعالى بالاستدلال ، ونار العشق تفضى إلى عرفانه عز وجل بحرق الحجب ، فالترقى إلى المراتب الغير المتناهية بنار العشق إنما هو من خصائص الانسان(٤٤).

٢ – أو باجتهاده وتأمله وتفكره وتدبره مما نراه في تفسيره لقوله تعالى : " الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً " (٤٥) ، حيث نوه إلى أن التفكر والتعمق يسرى في أشياء الكون علويه وسفليه ، وذلك أن المؤمنين بقدرة الله وحكمته يتفكرون في خلق السموات والأرض ، ويصلون بعد التفحص والتحقق إلى حقيقة بدهية هي الإعتراف : " رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً " لذلك يزداد إيمانهم بالله . أما الباحث الجاحد بذات الله تعالى ، فيعمه بعد مشاهدة حسن مظاهر الكون من خلال التفكر فيها ، ولا يسترعى انتباهه إلى قدرة الله تعالى وحكمته

ومشيئته ، ولذلك قد يصل بعد تسخير الكون إلى قمة التنمية المادية لكن قلبه مطموس الإيمان ولم يستنر بنور اليقين . وأضاف قائلا " ولو توجه الطلبة المسلمون في ضوء هذه الآية إلى دراسة العلوم الحديثة بالكد المتواصل لظهرت الملة الاسلامية على خريطة العالم بالنهضة المادية والروحية (٤٦).

نتئج البحث

نخلص مما سبق إلى أن:

١ – ترجمة القرآن أمر لا غنى عنه للمسلمين من غير العرب .

٢ – الترجمات التي تمت للقرآن الكريم إلى اللغة الأردية قام بها في الغالب علماء أجلاء لهم باع طويل في العلوم العربية والعلوم الشرعية.

٣ – تأثرت ترجمة القرآن أحياناً بالمسلك الديني الذي يتبعة المترجم.

٤ – الترجمات التي تمت للقرآن الكريم ما هي إلا محاولات من المترجمين لفهم معاني القرآن ولا تضم كل مطالب ومعاني القرآن بالطبع.

٥ – الاختلاف الذي نراه بين الترجمات راجع إلى الفرق بين مترجم وآخر من حيث المسلك وسعة الثقافة والتبحر العلمي .

٦ – لا يمكن أن نجزم بوجود ترجمة مثالية للقرآن الكريم يمكن الثبات الدائم عليها.

٧ – ينبغي مراجعة ترجمات القرآن الكريم كل فترة في ضوء ما يفتح الله به على العلماء من مزيد من الفهم والإدراك لمعاني ومطالب القرآن الكريم.

٨ – الأفضل أن تشمل كل ترجمات القرآن الكريم فيما بعد هوامش تفسيرية لما يرى المترجم أنه بحاجة إلى تفسير وإيضاح .

٩ – ترجمة القرآن الكريم للشيخ العلامة محمد كرم شاه الأزهري ترجمة معيارية على مستوى عال من الدقة .

١٠ – تتميز ترجمة العلامة محمد كرم شاه الأزهري بالجمع بين الترجمة اللفظية والترجمة المعنوية التفسيرية .

١١ – كما تتميز ترجمة العلامة محمد كرم شاه بلغتها الأردية الرائقة والأسلوب الأدبي الراقي .

١٢ – تعكس ترجمة القرآن للشيخ العلامة بير كرم شاه الأزهرى عن تبحره في العلوم العربية والشرعية وسعة اطلاعه في مجال ترجمة القرآن الكريم.

١٣ – تكشف ترجمة القرآن للعلامة محمد كرم شاه الأزهري عن استعانته بالترجمات السابقة عليه ومحاولة الاستفادة بأحسن ما فيها .

١٤ – تعكس ترجمة القرآن الكريم للشيخ محمد كرم شاه الأزهري حبه الشديد لله ورسوله ، وحرصه على عدم التفرقة بين المسلمين ، واهتمامه بأن يفهم المسلمون دينهم على الوجه الصحيح من خلال ترجمته المتوازنة لمعاني القرآن الكريم.

توصيات:

١ – يوصي البحث بتأسيس إداررة لترجمة القرآن الكريم تضم خيرة العلماء من المذاهب الإسلامية المختلفة لوضع ترجمة دقيقة متفق عليها للقرآن الكريم .

٢ – يوصي البحث بأن تقوم هذه الإدارة بمراجعة ترجمتها للقرآن الكريم بين الحين والآخر.

٣ – يوصي البحث بأن يراعي في الطبعات القادمة لترجمة جمال القرآن للشيخ العلامة محمد كرم شاه الأزهري أن تضم بعض الهوامش التفسيرية الهامة التي لا غنى عنها لمن يقرأ الترجمة ، ويستعان في هذا بتفسير ضياء القرآن للشيخ ، حتى وإن زاد عدد صفحات الترجمة قليلاً ، فهذا بالطبع أفضل من أن يعاد طبع الترجمة بغير هوامش .

هوامش

١ – الشيخ محمد صديق هزاروي ، تعارف علماء أهل السنة ، ط . المؤسسة القادرية ، باكستان س ٢٠٠١ ص ٢٧٢ .

٢ – كلمة " شاه " تستخدم للأسرة القرشية الأسدية في شبه القارة الهندية.

٣ – القاضي أبو المعالي أطهر المباركفوري : رجال السند والهند ، ط . أولى دار الأنصار بالقاهرة ١٣٩٨هـ ص ١٧٦ .

٤ – زبير بكار : جمهرة نسب قريش ، ط . مكتبة دار العروبة بالقاهرة ١٣٨١هـ ص ٥١٤ .

ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ط . مصر ١٩٣٩م ص ٥٦٥ .

٥ – القاضي أبو المعالي أطهر المباركفوري : رجال السند والهند ، ط . دار الأنصار بالقاهرة ١٣٩٨هـ ص ١٢٠ .

٦ – الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري ، تذكرة أكابر أهل السنة ، ط . مؤسسة الفريد ، باكستان س ٢٠٠٠ م ص ٤٧٦ .

٧ – الشيخ محمد كرم شاه : مقالات ، ج ١ جمعها وحققها البروفيسور أحمد بخش .

٨ – الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري ، تذكرة أكابر أهل السنة، ص ٤٨٠ .

٩ – أحد أعلام الهند في الحديث الشريف ، ولد سنة ١٣٠٠هـ في مراد آباد ، ودوس العلوم العربية والإسلامية في المدن الهندية المختلفة ، ثم تولى رئاسة شعبة الحديث الشريف في مدينة مراد آباد ، وهو من العلماء الذين أيدوا قيام باكستان ــ وبذل جهداً كبيراً في إقناع العلماء والمفكرين بفكرة توحيد الملة الإسلامية ،

وله حاشية تفسيرية على القرآن باسم " خزائن العرفان "، وتوفي في مراد آباد سنة ١٣٦٧هـ .

انظر : محمود أحمد القادري ، تذكرة علماء أهل السنة ، ط . سني دار الإشاعة ، باكستان س ١٩٩٢م ص ٢٥٥ .

١٠ – الشيخ محمد كرم شاه ، مقالات ، ج ١ ، ص ١٨ .

١١ – البروفيسور أحمد بخش ، مجلة ضيائي حرم العدد ابريل ، س ١٩٩٩م ، ص ٢٧ .

٢١ – محمد سعيد ، المذكرات ، مجلة شاهين باللغة الأردية ، الربع السنوي ، المجلد رقم ٤ ، والعدد رقم ٧ الصادرة من لاهور ، باكستان ١٩٩٩ ص ٦٩ .

١٣ – الأهرام ٢٠ مارس ١٩٩٢م ، الجمهورية ٢٠ مارس ١٩٩٢، الوفد ٢٠ مارس ١٩٩٢م .

١٤ – كلمة سردار ، تقال لمن ينتمي إلى قبيلة سردار في كشمير .

١٥ – عمران حسين ، أجالون كا نقيب ص ١٦ .

١٦ – جامعة الكرم : تأسست جامعة الكرم بمدينة ملتن كنيز سنة ١٩٨٥م ، ومؤسسها هو الشيخ محمد إمداد حسين باسم الشيخ محمد كرم شاه ، وتدرس فيها العلوم العربية والإسلامية حسب مقتضيات العصر والبيئة المحيطة بها بهدف تشكيل وبناء مجتمع إسلامي في أوربا عامة وفي بريطانيا خاصة ، ثم انتقلت هذه الجامعة من مدينة ملتن كنيز إلى مدينة ايتن بال سنة ١٩٩٥م ولا تزال الجامعة تقوم بنشر الوعي الديني والثقافي على منهج الشيخ محمد كرم شاه.

١٧ – نو الفقار حيدر ، الاحتفال السنوي بمناسبة ذكرى ضياء الأمة ، محمد كرم شاه ، مجلة " الكرم " الربع السنوي العدد ٣ ط . مؤسسة الكرم ايتن بال ٢٠٠٠م ص ١٩ .

١٨ – الزبيدى ، تاج العروس ، ط . بدون تاريخ ، ج ٨ ، ص ٢١١ .

١٩ – الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ج١ ، ص ٢٠ .

٢٠ – المرجع السابق ، ج ١ ، ص٢١ .

٢١ – محمد عزت دروزة ، التفسير الحديث ، ط . دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، س ١٩٨٣ ج ١ ، ص ٢٦٨.

٢٢ – ابن منظور لسان العرب ، ط بيروت ، ج ٦ ص ٣٦١ .

٢٣ – الآية ٣٣ سورة الفرقان .

٢٤ – أبو حيان ، البحر المحيط ، ط . دار الفكر ، كويت ، س ١٩٨٢ ، ج١ ص ١٣ .

٢٥ – محمد علي سلامة منهج الفرقان في علوم القرآن ط . مؤسسة الرسالة ، س ١٩٩٧ ، ج ٢ ص٦ ، ومحمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ط . بدون تاريخ ج١ ، ص٤٠٦ . ومحمد بن محمد ابوشهبة ، الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، ط . مكتبة السنة قاهرة ، س ١٤٠٨ ص ٢٦

٢٦ – سورة آل عمران ، الآية : ٧ .

٢٧ – محمد علي الصابوني ، البيان في علوم القرآن ، ص ٦٣ .

٢٨ – أدرج نوع من التفسير من آثار التابعين تحت قسم التفسير بالمأثور ، حيث اعتبره علماء التفسير من هذا القبيل مثل تفسير ابن جرير الطبري باعتبار أن فيه قدراً من آثار التابعين فيما يتعلق بالتفسير .

٢٩ – د . محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ج ١ ص ١١٢.

٣٠ – الشيخ محمد كرم شاه ، تفسير ضياء القرآن ، ج ١ ص ٨ .

٣١ – سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٥ .

٣٢ – سورة المؤمنون ، الآية : ٧٤ .

٣٣ – سورة الأعراف ، الآية : ١٢٨ .

٣٤ – الشيخ محمد كرم شاه ، ضياء القرآن ، ج ٣ ، ص – ١٨٩.

٣٥ – سورة طه ، الآية : ١٢٤ .

٣٦ – سورة بنى إسرائيل ، الآية ٩٧ .

٣٧ – سورة مريم ، الآية ٩٦ .

٣٨ – محمد بن اسماعيل البخارى صحيح البخارى باب " كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة " ، ط . دار ابن كثير ، بيروت س ١٩٧٨ جـ ٦ صـ٢٧٢١ ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج صحيح مسلم باب " إذا أحب الله عبدا حبّبه إلى عباده " ط : دار احياء التراث العربى ، بيروت بدون سنة جـ٤ صـ٢٦٣٧ .

٣٩ – سورة النحل ، الآية : ٤٧ .

٤٠ – ضياء القرآن ، ٢٦٠ ، ص – ٥٧٣ .

٤١ – سورة فصلت ، الآية : ٣٣ .

٤٢ – ضياء القرآن ، ج ٤ ، ص – ٣٤٧ .

٤٣ – سورة الأحزاب ، الآية : ٧٢ .

٤٤ – الشيخ محمد كرم شاه ، ضياء القرآن ، ج ٤ ، ص ١٠٣ .

٤٥ – آل عمران ، الآية : ١٩١ .

٤٦ – الشيخ محمد كرم شاه ، ضياء القرآن ، ج ١، ص ٣٠٧ .